

الفكر السياسي عند سان سيمون

(saint simon)

لمحة تاريخية عن المفكر :هو كلود هنري كونت سان سمون (1760-1825) هو رجل إقتصاد و فيلسوف فرنسي . في سن 19 يسافر لامريكا و هذا للمشاركة في حرب الاستقلال و بعودته و عمره 23 سنة كان برتبة عقيد في الجيش و لكنه فضل الاستقالة و بدا يسافر من هولندا إلى إسبانيا و كان يحلم بالقيام بأعمال صناعية ،حيث يرجع إليه الفضل فيما بعد في بناء قناة باناما . وهذه الفكرة اقترحها على نائب ملك المكسيك عندما كان في المكسيك و هي فتح قناة تربط المحيطين.

لقد مر هذا الفيلسوف بمراحل صعبة حتى اصبح في آخر حياته لا يجد إلا بعض الاصدقاء الذين كانوا يعينونه.يعتبر هذا المفكر هو فيلسوف العلم، و مشرع الصناعة، و نبي قانون الحب .

لماذا ينعت بفيلسوف العلم ؟

لأنه كان يرى انه لكي نضع حدا للثورة السياسية يجب ان نقوم بثورة مساوية لها في ميدان العلم التي يستطيع ان يجد من خلالها المجتمع الوحدة و التنظيم و لهذا نجده قد دعى إلى تأليف موسوعة تجمع جميع المعارف الإنسانية تتفق مع العصر الجديد و تكون بمثابة إنجيل للبشرية و هذه الدعوة عبر عليها في كتابه « رسائل احد سكان جنيف لمعاصريه » في سنة 1803 تم تلاها ب « بمقدمة للأعمال العلمية للقرن التاسع عشر » سنة 1807-1808 و بعدها مذكرة حول علم الإنسان. لكن الكاتب لم يجد له أذان صاغية تلبى ما كان ينشده في مشروعه و هو دراسة الإنسان دراسة علمية،التي ستعرف فيما بعد بعلم الاجتماع.

إن من الاسباب التي جعلت المفكر لا يستمر في مشروعه هذا هو بالأساس النقص في التكوين الاكاديمي المطلوب لبناء نظريته الشيء الذي جعله في اخر المقام ان يوجه اهتمامه لدراسة المجتمع باعتباره كائنا جماعيا كبير و قد عبر عن مشروعه هذا من خلال كتابه « في إعادة تنظيم المجتمع الأوروبي » الذي نشر سنة 1814 و يعتبر هذا الكتاب مرافعة حارة تدعو لأوروبا اتحاديته تحت القيادة الثنائية لفرنسا و إنجلترا.

إن الشعب الإنكليزي، الذي أصبح بفضل دستوره البرلماني ، الشعب « الحر والأقوى في أوروبا » ، يبين الطريق لأفضل تنظيم أوروبي : إنه التنظيم الذي يشرف فيه برلمان عام مؤلف من مجلسين على البرلمانات الوطنية . وسيكون هناك رئيس أعلى ، هو الملك ، بواسطته سيبدأ العمل المتمثل أولا بإقامة برلمان إنجلو - فرنسي (باعتبار أنه كان لفرنسا حينذاك دستور برلماني أيضا) ثم ، تحت الضغط الأنجلو - فرنسي ، برلمانات وطنية لدى كل الشعوب الخاضعة لأنظمة ملكية مطلقة .

أما ألمانيا فقد كانت موضوعا لتأملات عميقة . لقد كانت وما زالت مقسمة ، وهذا ما يجعلها تحت رحمة الكل». إنها لا يمكن أن تصبح قوية إلا إذا توحدت ، بمساعدة البرلمان الأنجلو - فرنسي ، وفي ظل حكومة حرة . وحينذاك سيدعوها قدرها لأن تلعب « الدور الأول » في أوروبا .

إن الفكرة الأساسية للمؤلف ، كما نرى، تكمن في إحلال الشكل البرلماني محل الشكل « التسلسلي أو الإقطاعي » للتنظيم السياسي القديم . إن زمنا يجب بالضرورة أن يأتي وتشعر فيه الشعوب بأنه يجب البدء

بتسوية نقاط المصلحة العامة ، قبل « النزول للمصالح القومية». حينذاك سيتحسن كل شيء ، وستستخدم الحروب وتهدأ الاضطرابات . وهذا بالضبط هو ما نتجه نحوه ، وما يحملنا تجاهه مجرى العقل البشري. إن الحماسة والحمية والنزعة التنبئية ، المتحالفة لدى سان سيمون مع وعي قوي للذات ، كانت تطبع هذه الخلاصة الحارة التي غالبا ما استشهد بالسطور الأخيرة منها (عن جدارة) : « لقد وضع خيال الشعراء العصر الذهبي في مهد الجنس البشري ، بين الجهل وفظاظة الأزمنة الأولى : لقد كان من الواجب بالأحرى أن نضع فيه العصر الحديدي . إن العصر الذهبي للجنس البشري ليس قط خلفنا، إنه في الأمام ، إنه يوجد في كمال النظام الاجتماعي ، إن آباءنا لم يروه قط ، أما أبنائنا فسيصلون له يوما ما ، وعلينا نحن أن نشق لهم الطريق .

بهذا النص، كان سان سيمون يطرح على نفسه ، في عام 1814 ، سؤالين أساسيين : ما هو « كمال » النظام الاجتماعي ، وكيف « نشق الطريق » ؟ وسيكون عليه أن يجيب عليها ، وقد أجاب بغزارة .

ولكن ليكن مفهوما (يقول سان سيمون) بأن أحدا لا « يخلق » من لا شيء ، ولا يخترع ، النظام الاجتماعي الكامل ، ولا حتى غير الكامل : « إننا نلمح التسلسل الجديد للأفكار والمصالح الذي يتشكل ، وندل عليه ، وهذا كل شيء ؛ إن النظام الاجتماعي إما أن يكون واقعا أو لا يكون »(1).

بناء عليه ، ماذا سيلمح ، المعلم ، وعلى ماذا سيدل؟ أي مغارة سحرية سيكتشف ، وما هي الكلمة السرية التي ستجعل المغارة تنفتح ؟ لقد كان الجمهور يعرفها منذ ثلاث سنوات (في كانون الأول 1816). إنها كلمة : الصناعة . فبعد المجلدات الأربعة للمجموعة التي صدرت تدريجيا ، حتى عام 1818 ، تحت هذا العنوان ستظهر نشرة المنظم (Organisateur)، في 1819 - 1820 ، ثم النظام الصناعي (le Système Industriel) في 1821 - 1822 ، وأخيرا عقيدة الصناعيين (Catechisme des Industriels) في أربعة دفاتر (1823 - 1824). إن لقب « مشرع الصناعة » ، ومؤسس النزعة الصناعية ، هو الذي اختاره ، على ما يبدو ، سليل شارلمان ، بعزم ، من أجل أن يخلد اسمه لدى الأجيال التالية !

الصناعي (l'industrielle)

النحل والزنابير .

كل شيء من أجل الصناعة ، كل شيء من أجلها ، هذا هو الشعار الافتتاحي للكراس الدعائي المطبوع في نيسان 1817 . فها هو إذن المجتمع، إن لم يكن مجموع واتحاد الناس المنصرفين لأعمال مفيدة ، الناس المنتجين (كالنحل) ، بالمقارنة مع أولئك الذين لا ينتجون ، الذين يستهلكون أو يريدون أن يستهلكوا كما لو كانوا ينتجون ، الذين يعيشون كطفيليين (كالزنابير) . وما هي الحرية ، بالنسبة للأوائل، إن لم تكن عدم « الانزعاج أثناء القيام بالعمل المنتج ... وعدم القلق أثناء التمتع بما أنتجه » ؟ هل يمكن أن يكون هناك من « هدف وحيد » لكل الأفكار وكل الجهود غير تحقيق التنظيم الأكثر ملاءمة للصناعة؟ إن على الطبقة الصناعية واجب متابعة الحركة التي بدأتها منذ انعقاد البلديات (Communes)، والاستمرار بكسب المواقع حتى تصل أخيرا لاكتساح المجتمع بأسره. لقد آن الأوان «لقيام الثورة العامة، الثورة المشتركة لكل الشعوب المتمدنة، وذلك في مكان ما في الأرض التي تسكن عليها». إن هذه الثورة ستغير كلية أوضاع الحكومات: «فهذه ستكف عن قيادة البشر، وستقتصر وظائفها على منع الإخلال بالأعمال المفيدة، ولن يكون هناك تحت تصرفها إلا القليل من السلطة والأموال، لأن القليل من السلطة والأموال يكفي لبلوغ هذا الهدف. وضمن هذا المنظور الجديد، تصبح السياسة علم الإنتاج، العلم الذي يدور موضوعه حول نظام الأشياء الأكثر ملائمة لكل أنواع الإنتاج. إن القرن الجديد، الذي سيكون القرن الصناعي، سيفرض على الفلسفة مهمة جديدة: إنها المهمة التي يشعر سان سيمون بأنه قد عين من أجل أن يدل عليها ، ويضع بذلك حدا « لسبات الكتاب السياسيين » ، ويدعو لإحداث تغيير ضروري في مواضيع الاهتمام . إنها المهمة الكبيرة التي تتجلى في إعادة النظر بكل الأفكار وذلك من أجل إرسائها على أسس الصناعة ، « ومن أجل أن ترد كل علم الأخلاق للإنتاج ، مثلما سنرد إليه السياسة »..

إن إقامة مثل هذا النظام الصناعي يتضمن حتما موقف ما من حق الملكية. إن مسألة تكوين الملكية هي بالفعل المسألة الأهم التي ينبغي حلها. إن البعض يهتم كثيرة مسألة شكل الحكم، كما لو كانت كل السياسة «تتمركز هنا». في حين أن الملكية هي المسألة الأساسية: فكيف يجب أن تتكون في ظل العلاقة بين الحرية والثروة (بين «حريات الصناعة»، و «نمو الثروات») وذلك لما فيه خير الأمة ، وخير المجتمع بأسره ؟ وباختصار، وبعبارة عملية، فإن مؤلف مجموعة «الصناعة» كان يعتزم فتح معركة بين «الصناعيين» وكل « الآخرين ». وقد فتحها بشكل مفيد.

ولكن من صنف بالضبط في عداد هؤلاء «الآخرين»؟

النبلاء، وملوك الأراضي من غير المزارعين، وكذلك الفقهاء، ثم كل أولئك الذين لا ينتجون والذين يمارسون حتى الآن نوعا من الرفعة السياسية على المنتجين (وهم كبار رجال الدين ، كبار القضاة ، العسكريون من ذوي الرتب العالية) . أما المزارعون فيعتبرون، بالطبع ، من بين الصناعيين .

ونقرأ في الصفحات الأخيرة من « الصناعة » : « إن الطبقة الوحيدة في المجتمع التي نرغب بأن ينمو لديها الطموح والشجاعة السياسية ، الوحيدة التي يمكن أن يكون الطموح لديها مفيدة ، والشجاعة ضرورية ، هي ، بصفة عامة ، طبقة الصناعيين : لأن مصالحهم الخاصة تتفق كلية ، وبقوة الأشياء وحدها ، مع المصلحة العامة . إن شعورنا بهذه الحقيقة هو الذي جعلنا نحتضن قضية الصناعيين ، وننظر إليها باعتبارها مركز الحضارة الحقيقي وبؤرتها » .

ويذهب سان سيمون لحد المزايدة في المقالتين النقديتين المنشورتين ، في نيسان 1819 ، تحت عنوان : « الحزب الوطني أو الصناعي ، مقارنة بالحزب المعادي للوطن » (le Parti national ou industriel compare au Parti anti- national

) و «حول المشاجرة بين النحل والزنايبير » (Sur la querelle des abeilles et des frelons) . ويتوج المقالة الثانية بتحريض مثير موجه لصناعي فرنسا : هؤلاء الذين لم يعرفوا ، حتى الآن ، إلا النواح « كالنساء » ! إنهم لم ينبهوا بما فيه الكفاية ليقوموا جميعا بتوقيع عريضة موجهة للملك ، فور عودته للعرش ، تتضمن هذه الكلمات فقط : « سيدي ، إننا نحن النحل ، فتخلص من الزنايبير » ! لقد كانت تنقصهم الإرادة والمعرفة (والمقصود المعرفة السياسية التي تكمن أولا ، « في فكرة واضحة عن النظام السياسي الملئ لهم ... ثم في معرفة كيفية توحيد جهودهم ضد حزب النبلاء ») .

المنظم و « المثل » (Organisateur et la Parabole)

يقوم هذا المثل على افتراضين . الأول هو أن تفقد فرنسا فجأة « فيزيائييها الخمسين الأوائل ، وكيميائييها الخمسين الأوائل ، وفيزيولوجييها الخمسين الأوائل ورياضييها الخمسين الأوائل ، وأمثالهم من الشعراء والراميين والنحاتين والموسيقيين والأدباء . ويتلاحق التعداد للخمسين الأوائل في كل الحرف ، وكل المهن ، وكل الفنون ، ثم ثلاثة الأوائل من التجار وللسنة الأوائل من المزارعين (ونصل بالإجمال الثلاثة آلاف الأوائل من علماء فرنسا وفنانيها وحرفييها) .

ويتساءل سان سيمون ، ماذا سيعني هذا إن لم يكن فاجعة رهيبة ، وشرا هائلا لا يمكن تعويضه إلا لقاء « جيل كامل » (باعتبار أن الطبيعة لا تسخر إلا قليلا « بالشواذ » ، والناس الذين يتميزون في الأعمال ذات المنفعة الوضعية هم شواذ حقيقيون ؟ إن خسارة هؤلاء الفرنسيين ، « الأكثر إنتاجا بشكل أساسي » ، الذين يقودون الأعمال التي تحتاجها الأمة أكثر من غيرها ، والذين يجعلون هذه الأمة « منتجة » في كل الميادين ، إن خسارتهم ، هم الذين يعتبرون « بالحقيقة زهرة المجتمع الفرنسي ، سيعني الحكم على الأمة بأن تصبح ، في الحال ، « جسدا بلا روح » ، وأن تقع « فورا في حالة من الدونية إزاء الأمم التي تتنافسها

اليوم ، وأن تستمر بالبقاء تابعة لها طالما أنها لم تعوض هذه الخسارة ، وطالما أنه لم ينبت لها رأس مجددا . «

ننتقل الآن ، مع المعلم ، للافتراض الثاني :

تحتفظ فرنسا « بكل الرجال العباقرة » الذين تستطيع أن تمتلكهم في ميادين العلوم والفنون الجميلة والآداب والمهن ، لكنها « ستفقد في نفس اليوم السيد شقيق الملك ، والدوق دو أنغوليم ، والدوق دو بري ، والدوق دورليان » (ويتلاحق تعداد الأسماء الكبيرة) - وستفقد في نفس الوقت « كل ضباط التاج الكبار ، وكل وزراء الدولة ... ومستشاري الدولة ... والماريشالات ... والكرادلة والبطاركة وكبار رجال الدين الآخرين ... وحكام المقاطعات ومساعدتهم ... والعاملين في الوزارات ، وكل القضاة ، وفوق كل هؤلاء ، العشرة آلاف مالك الأكثر غنى من بين أولئك الذين يعيشون كالنبلاء) .

فاذا سيحدث ؟ يعلق سان سيمون على هذا الافتراض بهدوء قائلاً : إن هذا « الحادث » سيحزن الفرنسيين بالتأكيد ، لأنهم « طيبون » ، ولأنهم لن ينظروا بلا مبالاة الإختفاء العديد من مواطنيهم فجأة . « لكن خسارة الثلاثين ألف فرد ، المعترين بأنهم الأكثر أهمية في الدولة ، لن يسبب لهم الحزن إلا من زاوية عاطفية بحتة . لأنه لن ينجم عن ذلك أي ضرر سياسي للدولة » . فلا شيء أسهل ، بالفعل ، من ملء الأماكن التي أصبحت شاغرة (والتي سيتقدم لها فوراً مرشحون لهم مؤهلات مساوية أو أعلى) . فأي صلة حقيقية تربط بين كل هؤلاء المهمين وازدهار الأمة (الذي يرتبط بتقدم العلوم والفنون الجميلة والآداب والمهن) ؟ إنهم لا يستطيعون ، بالعكس ، إلا الإضرار بهذا الإزدهار . وإنهم ليضرون به ، بطرق عديدة ، منها قيامهم بحرمان العلماء والفنانين والحرفيين « من الدرجة الأولى من الاعتبار التي تعود لهم شرعاً . نعم . إن هؤلاء هم الوحيدون الذين يقومون بالأعمال المفيدة وضعية للمجتمع والتي لا تكلفه تقريباً أي شيء . ومع ذلك فإنهم المرؤوسون » للأمرأ وللحكام الآخرين « الروتينيون والعاجزين تقريباً .

وتعلو نبرة المؤلف ، في السطور الأخيرة من المقطع المبتكر ، فيعلن بأن افتراضه المزدوج يظهر إلى أي حد يمثل المجتمع الحالي بالحقيقة و العالم المقلوب » : فالعاجزون الذين يتولون المناصب يقودون المؤهلين ؛ « وأكثر الناس للأخلاقيين مدعويين هدي المواطنين للفضيلة » ، والمذنبون الكبار ممولجون بمعاينة أخطاء الجانحين الصغار » . نعم ، إن الجسم السياسي مريض بمرض « جسيم وخطير » ، يصيب مجموعه وأجزائه في نفس الوقت : تلك هي الحقيقة التي سيتباهى سان سيمون بأنه تجرأ على عرضها بكل « غريها »

. وينجم عن هذا أن نظام سياسية جديدة يفرض نفسه ، بشكل منسجم مع « الحالة الراهنة للأنوار » ، ويتنافر باستمرار مع النظام الحالي الذي يبدو كنوع من « السخ » . إن الشعار الذي يلخص هذا النظام الجديد والذي يرتبط بالتمييز بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية ، هو التالي : المؤهلات بدل السلطات . ماذا يعني هذا ؟ إن المشرع سيشرحه بأسهاب في الرسالتين الثامنة والتاسعة .

في المرتبة الأولى تأتي « المؤهلات الصناعية أو الفنية والمهنية » . فعلى هذه المؤهلات أن تحل محل السلطة الإقطاعية أو العسكرية ، وأن تأخذ مكانها في قيادة الشؤون الزمنية ؛ إنها المؤهلات « الزمنية الوضعية » . وبخلاف التي تحل محلها ، فإنها تستبعد التعسف : إن كل شيء فيها قابل لأن يحكم عليه ، وفيها لا تطلب إلا درجة ضعيفة جداً من قيادة الإنسان للإنسان .

وتأتي في المرتبة الثانية « المؤهلات العلمية » التي تتولى قيادة الشؤون الروحية : إنها المؤهلات « الروحية الوضعية » . إنها لا تتطلب إيماناً أعمى ، وهي تحمل سلطة « البرهان » محل سلطة « الوحي » في النظام اللاهوتي ..

هكذا يتم الحفاظ على التقسيم الثمين بين ما هو روحي وما هو زماني . لكنه لم يعد تقسيماً بين سلطتين ، وإنما بين نوعين من المؤهلات (« إنني لا أقول بأن سلطة جديدة ترتفع إلى جانب كل من السلطتين القديمتين ، وإنما نوع من المؤهلات التي ترتفع إلى جانب كل سلطة ») :

إننا نفهم من هذا بأن سان سيمون كان يحرص على أن يضمن « الدرجة الأولى من الاعتبار » للناس الأكثر فائدة للمجتمع ، أو بتعبير آخر للمزودين بالمؤهلات الوضعية ، وذلك بدل « المهمين » والباهظي التكاليف وغير المفيد . لقد كان يتصور ، ضمن هذه الرؤية ، مشروع دستور ، ويعرضه على قراء المنظم . لكن المجالس الثلاثة المكلفة « بالإبداع » بالنسبة للأول ، و « بالدراسة بالنسبة للثاني ، و « بالتنفيذ » بالنسبة للثالث ، والمقابلة للطبقات الثلاث : الفنانين ، والعلماء ، والمهنيين ، الممثلين برؤسائهم ، لم تكن تحمل معها إلا القليل من الإقناع ؛ فقد انطلق المعلم ، بطوعية ، للإهتمام هنا بالتفاصيل التي تدخل قليلا ضمن نطاق « السياسة المسلية » (على حد تعبير هـ . غوييه) . (إلا أن اقتراحه غنية بالنتائج النظرية والعملية ، مثل : « إن الملكية يجب أن تقوم على الأسس التي يمكن أن تجعلها أكثر ملائمة للإنتاج » ، لا يدخل بالتأكيد ضمن هذا النطاق) .

ولكن ألم تكن جراءة ووقاحة « المثل » تدخل ، في ذلك الحين ، ضمن نطاق السياسة « القائمة على المجازفة ؟

لقد كان الافتراض الثاني يسمي ، من بين الكبار الذين لن يعني اختفاؤهم المفاجئ ، بالإجمال ، الشيء الكثير بالنسبة للدولة ، الدوق دو بري . إلا أن هذا اغتيال بالفعل ، في 13 شباط 1820 ، على يد لوفيل (louvel) . وصادف حينذاك أن كان سان سيمون مقدما للمحاكمة بسبب الدعوى المقامة عليه لكتابتة « افتراضه المزدوج » ، الذي وصف بأن فيه « إهانة للعائلة المالكة » . وكان قد حكم عليه غيابية ، في 3 شباط ، بالسجن لمدة ثلاثة أشهر وبدفع الغرامة والتكاليف (إلا أنه كان يحتفظ بعد بحق الاعتراض على الحكم) . لكن جريمة لوفيل كانت ، في هذه الظروف ، مصادفة مؤسفة من شأنها أن تفسد قضيته ! .

وقد جادل سان سيمون بمهارة تقريبا ، وكتب في « المنظم » ، ووجه للمحلفين أربع رسائل . كما دافع عن نفسه أمام الجمهور بذكاء . وقد برئ وخرج في نهاية الأمر من القضية « بشهرة إعلانية » كان يجب أن يشكر السلطة عليها ؛ لأنها ساعدته في التعريف بنيته (كما أعلن) « في طبع القرن التاسع عشر بطابع النظم »

ولهذه الغاية وضع سان سيمون المنشورات الصادرة في عام 1821 عنوان : النظام الصناعي (Systeme industriel)

النظام الصناعي . ما المقصود بذلك ؟ أن نضع على عاتق فرنسا الملكية عبء القيام بالمهمة الكبرى والعاجلة المتمثلة بإعادة التنظيم الاجتماعي .

« لتتولى الملكية قيادة الحركة العامة التي تدفع اليوم المجتمع نحو إقامة النظام الصناعي والعلمي » . ولتحمل جلالته الملك طابع الملك المؤسس لهذا النظام الذي سيقع « السلطة الروحية الجديدة بين أيدي العلماء ، والسلطة الزمنية الجديدة بين أيدي رؤساء الأعمال الصناعية » . إن الدستور الحقيقي الذي تحتاج إليه فرنسا هو الدستور الصناعي ، لأن الشريعة لا يمكن النظر إليها إلا باعتبارها خالقة « لنظام مؤقت » من شأنه فقط أن يسهل الانتقال نحو النظام الحقيقي الدائم والنهائي . إن الشروط الأساسية التي تحدد لحظة نضج هذا الدستور الصناعي أصبحت اليوم متوفرة بشكل كامل (إنها تتمثل بالتسعة والعشرين مليون ونصف صناعي من أصل الثلاثين مليون فرنسي ، وملاحظة وجود نفس هذا الاتجاه لدى كل الأمم التي تحيط بفرنسا ، وتمر مثلها بنفس المرحلة من الحضارة ») . هذا ما يبشر به سان سيمون .

ونظرا لما لاحظه ، باندھال ، من فتور سياسي لدى الصناعيين والعلماء (هؤلاء الذين كان عليهم أن يتولوا بأنفسهم قيادة القضية الوطنية ، لأنها « قضيتهم ») يوجه سان سيمون نداء مملحا لجلالة الملك من أجل أن يتولى قيادتهم ليصبحوا نشيطين !

ويل سان سيمون على القول بأن مثل هذه الإعادة للتنظيم هي التي من شأنها فقط أن تنتهي بحق الثورة ، وتضع حدا للأزمة التي ما زالت قائمة منذ ثلاثين سنة ، والتي تكمن أساسا في الانتقال من النظام الإقطاعي واللاهوتي إلى النظام الصناعي والعلمي . وهي أزمة يمكن بطبيعتها أن تمتد « حتما » لحين قيام النظام الجديد بنشاطه كاملا » .

لكن سؤالاً مسبقاً يطرح نفسه : إنه السؤال المتعلق بهدف العمل الذي يحتاج إليه كل مجتمع ، والذي تحدد طبيعته نظامه الخاص . إن سان سيمون لا يريد ، على طريقته الحاسمة ، أن يحدد كهدف إلا الغزو (Ia conquete) أو العمل . فالهدف الأول يلائم المعتقدات « العمياء » ، أما الثاني فيناسب البراهين « العلمية » ، أي التي تقوم على الملاحظات الوضعية . إن خياراً واضحاً جداً يجب أن يقوم بين الهدف الأول والثاني ، وإلا فإن النظام السياسي ، برأيه ، وكما أثبتت ذلك التجربة ، لا يمكن أن يكون له ، ولن يكون له ، إلا طابعة هجينا » .

ورداً على الاعتراض المحتمل القائل بأن للعقد الاجتماعي هدفاً واضحة ومحددة يتمثل بتأمين الحفاظ على الحرية ، يجيب سان سيمون (دون أن يهتم بأن البعض سيهمونه بتغيير موقفه) بأن هذا الأمر يمكن أن يكون حقيقية في زمن العهد « الإقطاعي » و « اللاهوتي » الذي يتضمن ، بالفعل ، الكثير من التهديدات للحرية ؛ أما في ظل العهد « الصناعي والعلمي » الجديد فالأمر مختلف كلية : لأن « أعلى درجة من الحرية الاجتماعية ، في الميدانين الروحي والزمني ، ستكون ، في هذا النظام ، مضمونة بالضرورة ، ودون أن تكون هناك حاجة للإهتمام بهذا الأمر مباشرة (1) !

بعد هذا سيجد القارئ نفسه مهياً للأفكار المضادة والتغييرات التي ستعطي للكلام السياسي للمؤلف حول « تحول ، الملكية ، معناه الكامل . إن هذه الملكية لا تستطيع ، تحت طائلة الذبول ، أن تتبع لمدة أطول نهجها القديم المعتاد . ويجب عليها أن تنحاز للطبقة المؤهلة لدعمها والتي تريد ذلك (شريطة أن يمارس العمل الملكي ، بالطبع ، لمصلحتها) . لقد أصبحت فرنسا « معملاً كبيراً » ، والأمة الفرنسية « ورشة كبيرة » . وعلى الملك الآن أن يعتبر نفسه « رئيس المنتجين في مملكته » . وعليه ، فإن السلطة يجب أن تنتقل (وهذا ما كان يجب أن يكون هدف الثورة !) من أيدي « المتكلمين » إلى أيدي « الإداريين » ، من أيدي « السيفيين » إلى أيدي « المنتجين »

ويتمسك سان سيمون بقوة بهذه الفكرة الأخيرة . فهو يرى بأن إحدى أسوأ الحماقات التي قامت بها الأمة الفرنسية أثناء الثورة ، تتمثل بكونها انتشت بالأمجاد العسكرية والفتوحات في عصر أصبحت فيه « شهوة الإنتاج الوحيدة التي بإمكانها أن توفر الرضى الدائم والازدهار العام والتمتين » . إن سان سيمون يستطيع أن يتباهى لكونه أدرك هذه الشهوة وعجنها أكثر من أي شخص آخر . فهو الذي كتب (كما يقول لنا) للدفاع عن الصناعيين ضد متملقي الملك وضد النبلاء ، أي للدفاع عن النحل ضد الزنابير . وهو (كما أضاف) الذي رأي ، بعمق نادر ، أن الصراع السياسي لم يأخذ بعد قطر طابعه الحقيقي . وأن عليه الآن أن يأخذه . وهذا ما يؤكده سان سيمون في رسالته لوزير العدل حينذاك ، التي سعى فيها لأن يضمه لمذهبه : « إن حزب المنتجين لن يتأخر في الظهور ... وانتصار السلطة الحالية ليس ممكناً إلا إذا غيرت طبيعة المعركة ، وحددت الصراع الحقيقي ، ووضعت نفسها على رأس المنتجين وضد كل الطفيليين » .

ولو سألته سعادة وزير العدل : من أنت حتى تكلمني هكذا ، وتكلمني بأن أنصح الملك بهذه الرسالة التي لا تنتهي ، وأبادر بحرية لأن أقترح عليه اتخاذ التدابير المتفقتة والأفكار التي تعتقد أن من الحسن عرضها عليه ؟ فإن المعلم سيجيب مسبقاً على هذا السؤال في « الرسالة الثالثة الموجهة للسادة المزارعين وأصحاب المعامل ، والتجار ، وأصحاب المصارف والصناعيين الآخرين » ، بقوله : « لقد تلقيت رسالة إخراج السلطات السياسية من أيدي رجال الدين والنبلاء والقضاة ، من أجل إدخالها في أيدي الصناعيين : وسأقوم بهذه الرسالة مهما كانت العقبات التي يمكن أن أصادفها ، وحتى لو حاولت السلطة الملكية ، التي لا ترى مصالحها الحقيقية ، مقاومة ذلك » .

وقد أثنع سان سيمون ، حركة الغرور هذه النابعة من أعاقه والتي تستحق الإعجاب والإبتسام ، بالإعلان عن الإيمان بمبدأ فلسفي . (« إنها الفلسفة التي كونت أهم المؤسسات السياسية ؛ إنها الوحيدة التي تمتلك السلطات الكافية لإيقاف عمل المؤسسات التي أصبحت قديمة ، ولتأسيس مؤسسات جديدة تقوم على مذهب

متقن ») . وبنفس الحركة ، يطعم سان سيمون هذا المبدأ الفلسفي بمبدأ إجتماعي . إن كل المؤسسات السياسية تستمد قواها من الخدمات التي تقدمها لأكثرية المجتمع ، وبالتالي للطبقة الأكثر فقرا (1)

عقيدة الصناعيين (le Cathechisme des Industriels)

لقد أرادت الدفاتر الأربعة لعقيدة الصناعيين ، التي صدرت في 1823 - 1824 ، أن تكون مساهمة جديدة (أوجب القول أنها الأخيرة ؟) من سان سيمون في إنجاز هذه الرسالة الكبرى والضخمة . إن الدفتريين الأولين يفضلان في المواضيع المعتادة للنزعة الصناعية « التقديمية » (على حد قول ا. لايروس) التي يسعى سان سيمون جاهدة لتحديد مظاهرها ونتائجها بدقة . وقد قيل فيها أن القوة الصناعية إذا استمرت في البقاء سلبية وسط الزمر التي تتصارع على السلطة ، فإن المجتمع سيصبح مهتدا . لهذا يجب تكليف الصناعيين الأكثر أهمية بإدارة الثروة العامة . كما يجب على الطبقة الصناعية أن تعي تفوقها العددي (أكثر من 24 مليون على 25 من الأمة) والعقلي ؛ هي التي تهتم بالأعمال المفيدة ، والتي لم تكف ، خلال العديد من القرون ، عن الصعود في فرنسا ، في حين كانت الطبقات غير الصناعية « تتقهقر في كل المجالات » . إنها لن تجد نفسها في مكانها الطبيعي إلا عندما تتبوأ سدة المرتبة الأولى ، كحاكمة (وليس كمحكومة) . فليكن للصناعيين رأي سياسي خاص بهم ، وسيكون هذا هو الرأي العام ، أي ملك العالم ، الذي لن يستطيع أي شخص مقاومته . إن تربية الصناعيين ، أو بعبارة أخرى تعليمهم كيف يتصرفون وفقا لمصلحتهم ، سيكون أمرا ممكنا في فترة تقل كثيرا عما يعتقد . إن من العذب أن يسبح المرء في اتجاه التيار ، ومن الشذوذ أن يرغب بالتقهقر في الحضارة !

إن سان سيمون ينتظر من فرنسا أن تكون الدولة الأولى (وتأتي بعدها مباشرة إنكلترا) التي تنتقل من النظام «الحكومي» (gouvernemental) إلى النظام «الصناعي» . فليتوجه الصناعيون ، لهذا الغرض ، وبعبارات ملحة ، للملك ، الذي يمثل قمة الهرم القومي (الذي تتألف قاعدته من العمال المشتغلين بالأعمال اليدوية ، ويوجد في مراتبه المتصاعدة الرؤساء الصناعيون ، فالعلماء ، والفنانون) . إن سان سيمون يرفض الملكية « الدستورية » ! فهذه الصفة « ميتافيزيكية بشكل مرعب ، وهي تعني حالة هجينة من التنظيم الإجتماعي ... يشكل فيها صانعو الجمل والكتاب الفاشلون الطبقة المسيطرة » . ويدعو للملكية الصناعية ! إن من المهم أن تحل كلمة صناعية ، كراية للحزب السياسي الجديد ، محل كلمة ليبرالية ، المليئة بالمساوئ وفي أواخر الدفتر الثاني يبشر المعلم ، بشيء من اللهجة الإحتفالية الدوغمائية والتعليمية ، بأن « أزمة الانتقال بدأت بمواعظ لوتر ، وأن الموضوع المباشر لعقيدة الصناعيين هو إنهاؤها .

وفي الدفتر الثالث يتغير المنظور بالنسبة للقاريء . ولسبب ! فهذا الدفتر - كما تنبغي الإشارة فورية - ليس لسان سيمون . لقد أسند المعلم أمر كتابته لأوغست كونت ، التلميذ السابق في مدرسة البوليتكنيك ، والذي كان ومان سيمون قد اتخذه أمين سي له في آب 1817 ، وهو في سن العشرين ، (ليحل محل أوغستين تيارى ، الذي كان قد تركه) . لقد كان لهذا الإلتقاء بين الرجلين فائدة كبرى بالنسبة للتاريخ الفكري ، لكنه كان مليئا ، بشكل طبيعي إلى حد ما ، بالإحتكاكات وسوء التفاهم . فسان سيمون ، كان من جهة أولى ، يناهز الستين من العمر ، وسيدا كبيرا بدأ مرحلة الإنحدار ، ومغامرة في كل شيء « وبوهيمي التفكير » ، وموقظا غير عادي للأرواح ، « ومولدا للأفكار » ، ولكن غير مرتب للغاية ، وأوغست كونت ، من جهة أخرى ، كان شابا فتيا ، من أصل بورجوازي صغير ، وصاحب دماغ علمي وفلسفي قوي ودقيق . إن مناخ ما بعد الثورة الذي كان سائدا في ذلك الحين ، يفسر بسهولة هذا الإلتقاء ، وذلك بالإضافة لوجود الأفكار - الأم ، التي أشرنا إليها ، في الجو ، والإحساس العميق بالحاجة للفكر المتطلع لإعادة التنظيم : هذه الحاجة التي كان أوغست كونت ، خريج البوليتكنيك الشاب الذي تلتهمه الشهوة الفكرية « والمتطلبات الفلسفية ، التي يوجد بخدمتها نظام عقلي مدهش ، مؤهلا للإستجابة لها بشكل صحيح أكثر من المعلم . هذا المعلم الذي كان ، من جهة أخرى ، فاتنة ، والذي سيفتنه في البداية ولمدة أشهر طويلة بالفعل . لقد اغتنى أوغست

كونت بشكل فريد من هذا اللقاء ، وكان سعيدا لقيامه بالكتابة للمعلم قبل أن تفسد الأمور بينهما في النهاية كما سنرى !

أما الدفتر الرابع فقد كان سان سيمون يريد أن يقسمه إلى جزئين ، الأول يتوجه فيه فقط إلى العقل ، بينما يخاطب في الثاني القلب . لكن المعلم سيتوفي قبل أن يتمكن من كتابة هذا الجزء الثاني . وقد وضع في مقدمة الدفتر مخططا للتنظيم الاجتماعي يقوم على فكرة الطابع « الثانوي » للعمل الحكومي ، وهي الفكرة العزيزة عليه جدا والتي كان قد قال بها سابقا . وينص

هذا المخطط على إحداث ثلاث « أستاذيات » (Professorats) كبيرة : الأولى للسلوك السياسي والصناعي الذي ينبغي إتباعه (وهي موجهة للصناعيين من كل الأجناس وكل درجات الأهمية ») ، والثانية لعلم الأخلاق والثالثة

للعلوم الوضعية .» وهنا يهلوس المعلم قليلا عندما يشير في هذا الصدد لسقراط وأفلاطون وأرسطو د ژواد حضارتنا « منذ أربعة وعشرين قرنا . ومع ذلك فإنه لا يضيع سياق كلامه المعتاد المؤيد للصناعة فيما يتعلق بالأمور الأساسية ، ولا سيما بحصة كل من الصناعيين والعلماء في هذا النظام . هنا ، يعامل العلماء ، بوضوح وإلى حد ما بقسوة ، كطبقة « ثانوية » ، وذلك لأن الطبقة الصناعية هي الطبقة الأساسية ، الطبقة المغذية لكل المجتمع والتي لها الحق ، بهذه الصفة ، في أن تطلب إلى العلماء أن يستخدموا هذا الوجود المستقي منها بالطريقة الأكثر فائدة لها . ولهذا يوتر العلماء على أكاديميتين منفصلتين : أكاديمية الملاحظات (raisonnements) (التي تضع مدونة المصالح (code des interets) le وأكاديمية المشاعر (Sentiments) التي تحمّن هذه المدونة .) وذلك بالإضافة لكلية علمية ملكية (College scientifique royal) تحافظ على التوازن بين الأكاديميتين ، بصفتها مؤسسة علمية عليا ، ومجلس إداري مؤلف من الصناعيين الأكثر أهمية (ويعتبر أيضا مجلسا « عالية ») .

وكلف المعلم ، الذي لا يتعب من تقديم المقترحات ، نفسه عناء البرهنة على أن نظامه - الذي لا يمكن ، بعد إقامته في فرنسا ، إلا أن يصبح « شائعة بين كل الجنس البشري » - يستنتج مباشرة من مسيرة الفكر منذ سقراط . لأنه كيف يمكن الا نرى صلة ضرورية بين سقراط وبين « إقامة التنظيم الاجتماعي الأكثر ملائمة للطبقة الصناعية ، التي تعتبر الأكثر فائدة للمجتمع ، والتي تشكل الأغلبية الساحقة فيه ؟ وتتوج هذه التغيرات الخطرة حول حركة الحضارة بمديح قوي للدين المسيحي : « المثير للإعجاب » ، الأسمي من كل الأديان الأخرى ، وذي « الرفعة المطلقة » ، لأسباب عاطفية . لقد كان المؤلف يعتزم التركيز على العوامل العاطفية في الجزء الثاني الذي لم يكتب : « سنحاول تنشيط الإنفعالات الكريمة للبشر الذين يمتلكون المؤهلات الأكثر وضعية » (1).

لكن المعلم كان لديه الوقت ، قبل وفاته ، لنشر كتاب أخير (بقي غير منجز) . إنه المسيحية الجديدة (Nouveau Christianisme) الذي ظهر في نيسان 1825 ، وكان له العنوان الفرعي التالي : « حوار بين محافظ وتجدد (vateur et un novateur- Dialogues entre un Conser) واستهل بعبارة ، مستعارة من القديس بولس ، تقول : « من يحب الآخرين ينجز القانون . لقد فهم كل شيء بالمختصر في هذا الكلام : ستحب جارك مثلما تحب نفسك » . إننا يجب أن نرى في هذا الكتاب رسالة فريدة وهامة مهداة بالإجمال للقلب ، لأن القانون المقصود هو بالفعل قانون الحب . نبي قانون الحب

ها هو إذن النظام الجديد والأفضل ، النظام الصناعي والعلمي ، الكامن في أعماق التطور الفكري والاجتماعي ، يتوجه بالنداء الله المسيحي باعتباره دعامة عليا .

إنه التحول النهائي لمفكر صاخب وغير مرتب كان ، على الصعيد الديني ، قد تطور . فبعد أن كان مكتفية ، في البداية ، بعلم أخلاق أرضي بصفة بحتة ووضع كليا ، أخذ يهتم الآن بدعوة الشعوب والملوك « للروح الحقيقية للمسيحية . وحتى مذهب التأليه (le deisme) (*) فإنه لم يكن يبدو ، في نظر « فيلسوف العلم ، الأ كدين إنتقالي « يحترمه علانية » ، لكنه يعتبره « بالية » وصالحا فقط بالنسبة للطبقة الجاهلة .

أما الدين الطبيعي (le physicisme) الذي كان يعمل على تحسينه، ولكن بشكل سري حتى لا يلحق قط ضررة بالمجتمع ، فلم يكن ملائم إلا للمتقنين . لقد أخذ سان سيمون يعي ، أكثر فأكثر ، أهمية قوى الشعور لدى الإنسان الذي يعتبر كائن محبا بقدر ما هو كائن عقلاني . فأى ترياق غير الحب الإجتماعي يمكن أن يوصف لعلاج الأنانية التي تقف حجر عثرة في وجه كل إعادة تنظيم منهجي للمجتمع ؟ وكيف يمكن لهذا الحب أن يولد من علم أخلاق عقلاني بشكل بحت ، يقوم ، وفق أسلوب بنشام ، على المصلحة فقط ؟

ألم يكن الدين يمثل المصدر الأشكم والأعز للحوية الشعورية والحاسة (*) ؟

لكن المعلم كان لديه العديد من الإنتقادات التي يمكن أن يوجهها للأشكال التقليدية للمسيحية ، الملطخة بالنزعة اللاهوتية والإقطاعية والخضوع الفاضح لقيصر . لقد كانت هذه الأشكال تعطي عن الدين صورة باهظة الثمن « وعاطلة » (عن العمل) في أن واحد . بحيث تجعله مغلقا أمام شارة « الكرامة الحلاقة للعمل البشري والصناعة ، ومنمي للأحكام المسبقة التي من شأنها إهمال الحض على القيام بالأعمال الكبرى في ميدان الاستثمار المادي للكرة الأرضية التي يتطلبها تحسين الوضع المادي والمعنوي للطبقة الأكثر عددا ، والأكثر فقرا . لقد كانت تلك المسيحية غير مكتملة ، بشكل جلي ، مثلها مثل الثورة الفرنسية نفسها . ولهذا كان يجب أن « تنتهي » أيضا أو بتعبير آخر ، أن تجدد وتحيا من جديد ، بعد تصحيح أخطاء الماضي ونواقصه ، وذلك من خلال التمسك بالإخلاص الحاسي لقانون الحب . . لقد سبق لميستر ، أحد التيقراطيين الذين قرأ لهم سان سيمون وتلامذته ، عن قرب ولكن بكل استقلال ، أن كتب في 1796 ، في النظرات ... ، بأننا سنرى ديننا جديدا يتكون بحيث « يتجدد شباب المسيحية بشكل إستثنائي » . وفي 1802 ، أكد نجاح « عبقرية المسيحية » (Génie du christianisme) لسانتويريان ، إلى أي حد كان الدين القديم قابلا لأن يجد بالفعل . وفي « الحوار » كان هناك ، بلا جدال ، مجال للنقاش بين « المحافظ » و « المجدد » ، من أجل تحديد الأجل اللازمة لإنجاز نظرات مؤس المسيحية ، أكثر مما هي لازمة لتجديدها . إنه الإنجاز الذي وجدت كل « الطوائف المسيحية ، بلا استثناء ، نفسها عاجزة عن تحقيقه (على حد قول أولند رودريك ، أكثر التلاميذ المأذون لهم بالتعبير عن فكر المعلم ، في مقدمته للحوار الأول ، الوحيد الذي رأى النور) . لقد كانت المسيحية المتجددة للمعلم مسيحية « خالية من اللاهوت والأكليروس » (على حد تعبيره . دوروش) ، ولكن دون أن يعني هذا تأسيس مذهب مسيحي جديد وطائفة جديدة تحل محل الطوائف الأخرى التي اتهمها سان سيمون بالهرطقة .

لقد كان المقصود إيجاد نوع من التماثل بين الروح المسيحية الحقيقية والروح الصناعية . وكان على التجدد الكبير للصناعة أن يجر معه تجديدا كبيرا في شباب المسيحية . إن سان سيمون لن يمتنع عن تكرار أقواله أو الثثرة (كما يقول سيئو النية) طالما كان يهيمه أن يفهم . إن ما أراده الله ، بأيه ، وما يشكل - فقط - « الجانب الإلهي » في المسيحية ، إنما هو إيجاد تنظيم إجتماعي ملائم للأغلبية ، وذلك من أجل التحسين الأسرع والأكمل للوجود المعنوي والمادي للطبقة الأكثر فقرا) ... (والتي هي الأكثر عددا في كل مكان) ومن أجل زيادة رفاهيتها . وهذا ما يجب على رؤساء الكنيسة المسيحية ، على رجال الدين ، أن يعملوا له بثبات من أجل أن يبرروا وجودهم . إن عليهم أن يسعوا لتمكين الأغلبية الساحقة من الشعب من التمتع بوجود مادي ومعنوي أفضل بكثير من الوجود الذي تمتعوا به حتى الآن . إن على الملوك أن يتعلموا هذا من ممثلي السلطة الروحية ، بصفة عامة ، وذلك لأن الملكية لن تكون شرعية إلا إذا استخدمت سلطتها من أجل « دفع الأغنياء للمشاركة في تحسين الوجود المعنوي والمادي للفقراء .

وسينجم عن هذا أن أعمال المسيحيين ، وأعمال كل الجنس البشري سيكون لها هدف واحد يتمثل في إيجاد « تنظيم إجتماعي » من شأنه ، من جهة أولى ، تشجيع قيام نظام الأعمال التي بواسطتها سيتحسن الوجود المعنوي والمادي للطبقة الأكثر عددا ، ومن جهة أخرى تأمين تفوق هذا النظام على كل النظم الأخرى مهما بدت أنها مهمة . لقد أصبح من الممكن ، الآن وقد عرف مدى اتساع الكرة الأرضية ، أن تسند للعلماء والفنانين والصناعيين مهمة إعداد برنامج إجمالي للأعمال التي ينبغي تنفيذها من أجل جعل « الأرض التي يملكها الجنس البشري تنتج أكثر ما يمكن ، وتسكن بالطريقة الأكثر متعة من كل الجوانب » . إن كمية ضخمة

من الأعمال كان من شأنها أن تحدد بهذه الطريقة ميدانية . وسيكون في هذا ما يغني الفقراء (بشكل أفضل مما تفعله أسخى الصدقات) ويعفي الأغنياء من بذل التضحيات المالية ! أليس على المسيحية الحقيقية أن تجعل الناس سعداء في الأرض أيضا ، وليس فقط في السماء ؟ ألا يمثل العمل على زيادة رفاهية الجنس البشري « في هذه الحياة » ، الوسيلة الوحيدة للحصول على الحياة الأبدية التي كان كل المسيحيين يتطلعون إليها(1) ؟

إن من الطبيعي أن تتضمن زيادة رفاهية الجنس البشري قيام النظام السلمي وإدانة وإنهاء الحروب المشينة بين الأمم المسيحية ، حيث يبتهل كل متحارب ، من جهته ، لإله الجيوش ! لكن رفض مجدد المسيحية للحروب يتعلق هنا بنظرة أعم . ذاك أن أي حق سياسي لا يجب ، في « الحالة الحاضرة للأنوار والحضارة » ، أن يبدو كحق متفرع من قانون الأقوى بالنسبة للأفراد ، ومن الحق بالغزو بالنسبة للجماهير . ويوجه سان سيمون نوع من الإنذار النهائي لأمرء الحلف المقدس (la Sainte Alliance) : فليكفوا عن تأسيس سلطتهم على القوة المادية ، على السيف ، إن أرادوا أن يستحقوا اسم « المسيحيين الطيبين » ، وإن أرادوا أن يكونوا شيئا آخر غير « خلفاء قيصر » ، قيصر الذي كانت سلطته كافرة ، ومؤقتة أساسا من حيث طبيعتها . ويتصنع هذا الإنذار ، بشكل رصين جداً ، التشبه بصوت الله وهو يأمر من خلال فم المعلم ... عودوا ثانية مسيحيين طيبين ، كفوا عن اعتبار الجيوش المتبقية والنبلاء ورجال الدين الهرطوقين والقضاة الضالين كدعائم رئيسية لكم ؛ إتحدوا باسم المسيحية ؛ واعرفوا كيف تقومون بكل الواجبات التي تفرضها على الأقوياء ؛ تذكروا أنها توصيهم باستخدام كل قواهم من أجل زيادة السعادة الاجتماعية للفقير بأسرع ما يمكن (...!).

بعد نشر هذا الكتاب بعدة أسابيع ، وفي مساء 19 أيار 1825، جرى بين سان سيمون وهو على فراش الموت (وكان قد بلغ من العمر 64 سنة و7 أشهر) وتلامذته مشهد مسرحي إلى حد ما، ولكن مؤثر ، وله قيمة رمزية تتناسب وشخصية المعلم . فلقد توقع المعلم ، وهو يتحدث إلى تلامذته عن « المسيحية الجديدة » ، ألا يفهم هذا الجزء الأخير من نتاجه الفكري فورة . وأضاف بأن البعض سيتخيل بأن كل نظام ديني يجب أن يختفي لأننا نجحنا في البرهنة على بطلان النظام الكاثوليكي . ولكن لا ، فالدين لا يمكن إلا أن يتحول . والحاصل أن سان سيمون كان متفائلا : «فالإجابة» ، برأيه ، أصبحت ناضجة ، وتلامذته كانوا يستعدون لقطفها ، بعد أن وصلت لعصر يؤمل أن تتحقق فيه نتيجة ضخمة بعد ما بذل من « جهود مشتركة » .

أما فيما يتعلق باتجاه هذه الجهود ، وغايتها الإجمالية ، فقد قدم سان سيمون هذا المفتاح : « إن كل حياتي تتلخص بفكرة واحدة : أن أضمن لكل البشر النمو الأكثر حرية لملكاتهم». أما تلميذه ليون هالفي (leon Halevy) فقد قال ، وهو يتحدث أمام قبره في بير - لاشيز ، هذه العبارة : «لقد نام وهو يحلم بالسعادة العامة»

لقد سعت المدرسة السان سيمونية جاهدة لإعطاء شكل ما لهذا الحلم ، مقتفية في ذلك أثر المعلم الذي توفي على الطريقة السقراطية وكان مثارة للإعجاب وكأنه إنسان إلهي . وقد طبعت هذه المدرسة عصرها بعمق بسبب الدور الخاص الذي لعبته في ولادة الاشتراكية .

المراجع

1. شوفالييه (جان جاك)، تاريخ الفكر السياسي: من الدولة القومية إلى الدولة الاممية، ط3 ، (ترجمة:

محمد عرب صاصيلا)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 2002.

